ابن الإنسان
لماذا تجسد المسيح

مقدمه

لقد تحدثنا في الكتاب الأول عن **عقيدة التوحيد،** وان السيد المسيح هو كلمة الله الذي تنبأ عنها الأنبياء.

ثم تحدثنا في الكتاب الثاني عن **سبعة علامات على لاهوت السيد المسيح.**

وفي الكتاب الثالث تحدثنا عن **شهادات الله لإنجيله.**

وفي الكتاب الرابع نتحدث فيه عن **الهدف من تجسد المسيح،** والسبب في ذلك أن سألتني إحدى بناتنا بالجامعة انها قرأت إن كان المسيح إلهاً فلماذا جاع وتألم وصلب.. إلخ.

أما الكتاب الخامس فنتحدث فيه عن **موقف يوحنا** المعمدان من السيد المسيح وخاصة بعدما أثير حوله من

الكلام في هذا العام على صفحات المجلات والصحف. وأنه لم يبشر بمجيء السيد المسيح.

ابن الإنسان لماذا تجسد المسيح؟

الإله المجهول

بينما كان القديس بولس الرسول يجتاز في شوارع أثينا وجد معبدًا (مذبحًا) مكتوبًا عليه لإله مجهول. عندئذ فتح فاه وقال لهم ***"فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به"*** (أع ١٧ : ٢٢- ٣١).

لقد كان أغلب الناس قبل التجسد الإلهي يتقون الله الذي يجهلونه، فيؤدون فروض الصلاة والصوم والعبادة **لإله مجهول** ولقد كانت أقصى معرفة لله تتم عن طريق وسيط (نبي)، كما كان يكلم الله موسى. ثم يكلم موسى بدوره الشعب. لكن شتان بين كلمات موسى عن الله في العهد القديم، وبين قول يوحنا الحبيب في عهد النعمة ***"الذي كان في البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة "*** (١يو ١ : ١). وينتقل الرسول بولس في المعرفة. ليس لمجرد

المشاهدة ولكن إلى حد الشركة فيقول ***"لأعرفه وقوة قيامته وشركة ألامه متشبها بموته"*** (في ٣ : ١٠)

والبحث عن معرفة الله أمر طبيعي في كل إنسان، فعندما خلق الله الإنسان نفخ فيه نفخة حياة (تك ٢ : ٧). هذه النسمة الصادرة من الله هي أساس الدافع للبحث عن الله. فكل إنسان يبحث عن إله مجهول.. يسأل عنه الأنبياء، أحيانا يراه في الأخلاق والضمير، وأخرى يبحث عنه في كتب الفلاسفة والعلماء، أو يراه في قوى العلم والطبيعة. وأخيرا يكتشف الإنسان أن بحثه وعبادته ليست **إلا جهدًا عقليًا لوصف إله مجهول**، يعجز تماما عن الالتقاء به والتلامس معه.

لكن إلهنا الذي أحبنا لما رأى عجزنا وفشلنا في إدراكه صار إنسانا مثلنا، **فأخذ الذي لنا وأعطانا الذي له** . هذا هو الإله الذي نحبه ونعبده هذا الذي لمسته أيدينا، وهذا هو الذي أحبنا وبذل ذاته عنا.

+ **كلمة الله صار جسدًا** (يو ١ : ١٤).

+ كلمة الله أزلي ***"في البدء كان الكلمة"*** (يو ١ : ١)

+ كلمة الله **خلق به كل شيء** ***"كل شيء به كان"*** (يو ١ : ٣).

+ انزل الله كلمته على الأنبياء.

+ أرسل الله كلمة لموسى ثم كتبها له على لوح من الحجر ***"المكتوبة بأصبع الله"***. ***"وفي ملئ الزمان"*** (غل ٤ : ٤).

"الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه... الذي به ايضًا عمل العالمين (كل شيء به كان) الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل شيء بكلمة قدرته (عب ١ : ١- ٤).

+ فالكلمة التي أرسلت قديمًا لأنبياء، هي بعينها مصدرها الكلمة الذي صار جسدًا فالكلمة التي تجسمت على لوحي العهد أيام موسى النبي كانت إشارة للكلمة الذي صار جسدا في ملء الزمان.

+ **الكلمة التي أرسلها الله للأنبياء قديمًا** تظهر لنا عندما يقول السيد المسيح ***"من عند الأب خرجت"*** .

+ كان النبي في القديم يقدم كلمة الله ويقول لهم ***"الله يأمركم بـ.."*** ولكن لما أخذ الكلمة جسدًا كان يقول ***"أنا أقول لكم"*** ... كما حدث في الموعظة على الجبل ***"سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل... أما أنا*** (يسوع المسيح الكلمة المتجسد) ***فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم"*** . ***"قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه"*** (مت ٥ : ٢١، ٢٧، ٢٨)

+ ***"كلمة الله قد ظهرت لنا"*** (يو ١ : ٣).

كلمة الله أزلية وفي ملء الزمان أظهرت لنا. ونسوق هذا المثال من الراديو والتليفزيون للتقريب فالكلام والصور تنقل لنا عبر الأثير في موجات مختلفة وهذه تحيط بنا من كل مكان وتملأ بيوتنا ولكننا لا نراها أو نحس بحواسنا الخمس، ولكن عندما ندير مفتاح الجهاز، نجد الكلمة حالاً

ما تتجسد والصورة حالاً ما تظهر، والذي كان في لحظات لا ندركه صرنا ندركه. ومع بعض الفارق في التشبيه، فكلمة الله أزلية ولكن في ملء الزمان **أُظهِرت لنا في جسد أخذه الرب من السيدة العذراء.**

س: **ولكن كيف تحد كلمة الله غير المحدود بجسد الإنسان؟**

ج: كلمة الله غير مادية لذلك فهي لا تخضع للمقاييس المادية. وكل شيء يقاس بمقياس من نوعه، فالأطوال تقاس بمقياس طولي هو المتر، اصطلح العلماء أن يجعله له نموذجاً محدداً من ساق من البلاتين في متحف لندن وسموه المتر، والأوزان تقاس بالكيلو، والحجوم تقاس بالمتر المكعب، وهكذا...

أما الله فروح، وكلمته ليست مادية. وكما أننا نخطئ اذا حاولنا قياس الطول بالكيلو كذلك نحن نخطئ عندما نخضع كلمة الله لمقاييس الحجوم، ونحدها ببطن العذراء وجسدها. لذلك ينبهنا الرسول أن الله روح ***"قارنين***

الروحيات بالروحيات" فالسؤال الذي يقول كيف يحد كلمة الله غير المحدود بجسد العذراء. سؤال خطأ من مبدئه كالذي يقول لا تقيس الحجوم بالكيلو جرام.

اللّه واحد:

+ الله موجود بذاته.

+ ناطق بكلمته الإلهية.

+ حي بروح القدس الإلهي.

+ الإله الواحد بذاته وكلمته وروحه.

هذا هو الإله الواحد، المثلث الأقانيم (ذاته وكلمته وروحه)، هذا الإله الآب الذي أحبنا فأرسل كلمته الأزلي فأخذ جسدا، وأرسل روحه فسكن فينا. الأب قديما أرسل كلمته إلى موسى وكتبها "تجسمت" على لوحى العهد، أما في العهد الجديد فتقول الكنيسة: "حِجْر العذراء المكتوب عليه صورة مخلصنا" (الإبصلمودية الكيهكية ص ٧٩٥).

الإنسان له إمكانية الإيمان بالتجسد الإلهي من خارج الإنجيل:

هذه حقيقة تاريخية ظهرت عبر الأجيال الكثيرة ظهرت في حياة الإنسان التقي القلب، ظهرت عندما يخلو الإنسان لنفسه وتصفو الروح. فالإنسان الروحي له إمكانية الوصول لله بعكس الإنسان المادي:

١- **في العقل المصري القديم:** معروف أن قدماء المصريين كانوا يعبدون الله عبادة بعيدة عن الشر، كانوا يؤمنون بالقيامة والحياة الأخرى. ومن خلال تأملاتهم الصافية **وصلوا إلى إمكانية التجسد الإلهي** فيقولون إن الإله حار محب حُبل به بواسطة روح أمون وحبل به في عذراء، كذلك يتحدثون عن الإله بتاح إله الخليقة الذي نفخ روحه القدوس في بقرة عذراء فولدت الإله أبيس.

٢- **في العقل اليوناني الفلسفي:** لقد أجهد أفلاطون عقله في أدراك الله وعندما عجز عن ادراكه طلب من الله أن يعلن له ذاته بنزوله أو بإرسال ابنه ليعرفه عنه.

٣- **في الفكر الوثني:** القديس أوغسطينوس يذكر في اعترافاته أنه بحث عن الله في كل مكان في كتب الفلاسفة، وفي الطبيعة، ولكنه لم يجد الله لأن الله في داخل نفسه عميقًا جداً أعمق من نفسه. لذلك عندما كف عن البحث الخارجي، وخلا إلى نفسه وصل إلى إمكانية حلول الله في أعماق نفسه.

٤- **في الفكر التصوفي:** المتصوفون هم أقرب الناس للإيمان بحلول الله، لأن المتصوف إنسان يخلو مع ذاته فيشعر بحقارتها أمام الله، عندئذ يطلب معونة الله ويصل للحقيقة: أن **الإله يقدر أن ينزل للإنسان ويأخذ جسده ولكن الإنسان يعجز عن أن يمسك الله بفكره.** وهذا ما سجله لنا ماسويه الفرنسي عندما نشر قصة الحلاج المتصوف الذي عاش في القرن العاشر في بغداد. وتتلخص هذه القصة في ان الحلاج من كثرة اختلائه بنفسه وتأمله في حقارة ذاته وحاجتها لله نادى بعقيدة الحلول (حلول الله في البشر)، كضرورة للحياة.

٥- **في الفكر اليهودي:** كان الفكر اليهودي قديمًا يتركز في إمكانية وجود الله مع الإنسان وإمكانية التحدث معه. لذلك نرى أن داود الملك والنبي يطلب من الله أن يبني له بيتًا (مسكنًا) لكي يتحدث معه فيه بعد أن يحل الله فيه، والفكرة الأساسية في بناء الهيكل هو أن يحل الله بين البشر ولعل هذا الفكر هو الذي سيطر على جميع الديانات في بناء بيوت الله.

٦- **في فكر الأنبياء:** لقد تحدث الأنبياء عن تجسد السيد المسيح من العذراء قبل مجيئه بألاف السنين تحدثوا بوضوح أكثر وضوحًا من الوضوح ذاته. ونذكر على سبيل المثال قول أشعياء النبي قبل تجسد المسيح بـ ٨٥٠ سنه ***"ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل*** (الله معنا)" (أش ٧ : ١٤). وقوله أيضا ***"لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنًا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلها قديرًا أبًا أبديًا رئيس السلام"*** (أش ٩ : ٦).

أيهما أسهل؟:

قدرة الله لينزل بكلمته للإنسان ليعلن له ذاته. أم قدرة الإنسان ليصعد بعقله لله ليدركه؟ لو تخيلنا أبا عالما باللغات وله طفل صغير هل الأسهل أن ينزل الأب ليتكلم مع الطفل بلغة بسيطة دارجة... لغة الطفل... أم أن يتكلم الطفل مع الأب بلغة فصحى ... وبلغة الأب هذا مع بعد الفارق بين فصاحة الأب والله غير المحدود. كذلك بين الطفل والإنسان التائه في غربة هذا العالم العاجز أمام ابسط الأمور.

لذلك يقول الرسول ***"لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة"*** (١كو ١ : ٢١). فواضح من كلام الرسول ان كبرياء الإنسان واعتزازه بحكمته هو الذي يقف حائلًا أمامه في **إدراك الإله الوديع المتواضع. الله بسيط** لم يأت الفلاسفة فقط، الله متواضع لم يأت للعظماء فقط، الله فقير لم يأت للأغنياء فقط، الله ظهر في جسدنا جسد الغني

والفقير، الفيلسوف والبسيط، الإنسان الأسود والأبيض، الله أحب العالم كله.

الإله المتجسد أحب الجميع ولم يرفض الخطاه. لذلك تكلم مع الخطاه.

الإله المتجسد جاء وديعا لذلك رفضه اليهود المتكبرون، الإله المتجسد جاء ليشهد للحق لذلك رفضه اليهود المراؤون. الإله المتجسد أحب الجميع وكره التعصب لذلك كرهه اليهود وصلبوه.

اعتاد الإنسان أن يؤله الإنسان لذلك يصعب على كبريائه أن يترك الإله الأنسان . الأنسان يقبل بفكره ان يتأله، ولكن كبرياءه ينكر قدرة الله في أن ينزل في المذود ويصير إنسانًا.

لماذا تجسد الكلمة؟

١- أخذ جسدنا ليخلصنا:

يقول القديس يعقوب السروجي "إذ أردت أن تنقذ غريقًا أو تنهض إنسانًا مطروحًا، فلا ينفع أن تقدم له النصيحة بل عليك أن تخلع ثيابك وتلبس ثياب البحر (التي يلبسها الإنسان الغريق) وبعد أن تنزل تقيمه معك".

وهكذا نزل الله الكلمة، وأخلى ذاته (خلع لباس مجده) ثم لبس ثوبنا (أخذ جسدنا) نزل إلينا نحن الجالسين في الظلمة وظلال الموت، نزل إلى الجحيم من قبل الصليب ليفك المسبيين **نزل ليأخذ مالنا ويعطينا ما له**. نزل إلى عالمنا ليصعدنا معه ***"وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع "*** (اف ٢ : ٦) . "أصعد باكورتي إلى السماء" (القداس الغريغورى).

وعندما يريد ملك أن ينقذ شعبه من عدوه الذي قوي عليه فإن هذا الملك يخلع ثوب الملك. ثم يلبس لباس جنوده ويصير مثلهم، ثم يقودهم في حربهم مع العدو حتى

يهزمه وينتصر لجنوده ثم يرجع بهم منتصرين ويحضرهم معه في قصره وفي مجده. هذا هو إلهنا ***"لكنه أخلى نفسه أخذا صورة عبد صائرًا في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب"*** (في ٢ : ٧ - ٩) ***"من ثم كان ينبغي أن يشبه اخوته في كل شيء لكي يكون رحيمًا... لأنه فيما هو قد تألم مجربًا يقدر أن يعين المجربين"*** (عب ٢ : ١٧ ، ١٨).

أخذ جسدنا ليعين المجربين:

"ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس" (غل ٤ : ٤). ولد فقيرًا في مزود افتقر ليغنينا ***"فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره"*** (٢كو ٨ : ٩). اتضع ليرفعنا إليه ***"رفع المتضعين"*** (لو ١ : ٥٢). **نزل لأرضنا ليصعدنا لسمائه** ***"أتي أيضا واخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا"*** (يو ١٤ : ٣). ثم نما قليلاً قليلاً بشبه البشر بغير خطية وحده،

ومع إنه بغير خطية لكنه وقف في صفوف الخطاه ليعتمد من يوحنا المعمدان لأنه شريك لأولئك الخطاه ليس في الخطايا لكن في الجسد الحامل الخطية لأنه **حمل الله حامل خطية العالم كله.** وبعد العماد **صام عنا ولنا ومعنا** فشاركنا في الجوع وأشبعنا بجسده وكلمته.

+ **أخذ جسدنا** وصعد بروحه للجبل ليجرب من إبليس الذي طالما أذل الإنسان **أنتصر لنا فانتصرنا به.** وهزمه لنا فصار ذليلاً أمامنا. ويقول القديس يعقوب السروجي "كما أن الشيطان دخل الحية وخدع الجنس البشري وأماته هكذا أراد **الله أن يأخذ جسد الإنسان ويختفي فيه ليقبض على الشيطان الحية القديمة ويهلكه**".

+ **عمل نجاراً** فبارك العمل، جاع فشاركنا في الجوع **وأكل فبارك أكلنا.** وسهر فبارك سهرنا ونام فبارك نومنا.

+ أخذ جسدنا وعروه **ليغطي أدم الذي عرته الخطية** من النعمة. وربط نظير الخطية التي ربطت الإنسان... وأحتمل البصق والسب والتجديف واللطم، وفي الجسد الذي أخذه

منا أحتمل ما يمكن أن تصنعه البشرية كلها من ألوان الجريمة والشر والسخرية، وفي جسدنا الذي أخذه منا حمل خطايانا على الخشبة.

ب- وأعطانا الذي له:

١- أعطانا نعمة البنوة للّه:

السيد المسيح كلمة الله المتجسد. الكلمة المولود من الأب ولاده أزلية الهية. هو ابن الله بالطبيعة، صار لنا أخًا بكرًا بالجسد، وبالتالي صرنا أولادًا للأب بالتبني. ***"مولودا من امرأة تحت الناموس ليفتدي الذين هم تحت الناموس لننال التبني. ثم بما أنكم أبناء أرسل روح ابنه في قلوبكم صارخا أيها الأب أبانا إذ لست بعد عبدا بل ابنا وإن كنت ابنا فوارث لله بالمسيح"*** (غل ٤ : ٤ – ٧)، فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم إخوة قائلا أخبر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة أسبحك... من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء (عب ٢ : ١١ - ١٧).

لا تقل يا عزيزي أنك بشر، بل قل دائما "انا ابن الله". لا تنسى أنك تصلي كل وقت قائلاً ***"أبانا الذي في السموات"*** .

لا تنسى دائما أنك مولود من فوق بالمعمودية ***"لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح"*** (غل ٣ : ٢٧) ***"المولود من الجسد جسد والمولود من الروح هو روح... ينبغي أن تولدوا من فوق"*** (يو ٣ : ٦، ٧). والانسان المولود من فوق من الله تكون أماله فوق، وخاضعا لوصايا السماء. قلبه مملوء اشتياقًا للسماء. من أجل هذا نعيش غرباء في العالم لأن وطننا في السماء. إن الرب يسوع بتجسده ولدنا للسماء وتبنانا ***"وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله"*** (يو ١ : ١٢ ، ١٣).

"نعلم أن كل من الله لا يخطئ بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه" (١يو ٥ : ١٨). وهذا هو الدليل الذي نقدمه للعالم كإثبات إننا أولاد الله ***"إن علمتم***

إنه بار هو فأعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه" (١يو ٢ : ٢٩).

يا أحبائي ***"انظروا أية محبة أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله . من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه"*** (١يو ٣ : ١).

٢- عرفنا على الأب:

لقد ظل الإنسان سنين كثيرة يعبد الإله المجهول إلى أن جاء ملء الزمان فيقول القديس يوحنا ***"الله لم يراه أحد قط. الابن الوحيد الذي في حضن الأب هو خَبر"*** (يو ١ : ١٨).

وعندما طلب فيلبس الرسول أن يرى الله، قال له يسوع ***"أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس. الذي رآني فقد رأى الأب. فكيف تقول أنت أرنا الأب. ألست تؤمن إني أنا في الأب والأب فيَّ... صدقوني إني أنا في الأب والأب فيَّ"*** (يو ١٤ : ٨ – ١١).

"أنا أظهرت اسمك للناس للذين أعطيتني من العالم" (يو ١٧ : ٦). *"وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم"* (يو ١٧ : ٢٦).

المعرفة الاختبارية للّه:

"ليست معرفتنا لله معرفة كتب وقراءة، بل اختبار نخبركم به" (١يو ١ : ٣)

+ **عرّفنا محبة الله لنا في ابنه** *"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"* (يو ٣ : ١٦). فمحبة الله لنا تعادل بذل ابنه لنا. إن صليب ربنا لم يكن مكاناً للعدل الإلهي فقط بل للحب اللانهائي أيضا *"الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي"* (غل ٢ : ٢٠).

لو قلت أيها الإنسان إن الله يحبني لأنه يعطيني الصحة فهل معنى ذلك ان الله يكره المرضى؟ وإن قلت أنه يحبني لأنه يعطيني المال فهل الله يكره الفقراء؟!

ولكنني كمسيحي أقول إنه أحبني لأنه أسلم نفسه لأجلي ولأنه بذل ذاته لأجلي. إن الحديث عن محبة الله خارج دائرة صليب ربنا يسوع المسيح لا يعدو أن يكون حديث لفظي.

+ **عرفنا محبة الله للخطاه** في معاملة ربنا يسوع لهم، سمعنا عن حواره (يو ٤) مع السامرية، ورأيناه مدافعًا عن المرأة (يو ٨). وشاهدنا المرأة الخاطئة واقفة من ورائه عند رجليه باكية تبلهما بدموعها وتمسحها بشعر رأسها (لو ٧).

+ **عرفنا عن مجد الله** عندما رأينا الرب على جبل التجلي وتغيرت هيئته وأضاء وجهه كالشمس. (لو ٩) ويقول عنه القديس بطرس الرسول ***"لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته... إذ كنا معه في الجبل المقدس"*** (٢بط ١ : ١٦ -١٨).

+ **عرفنا عن قوة لاهوته** عندما أقام لعازر بعد موته بأربعة أيام (يو ١١). وعندما أمر البحر أن يسكت وقال له

ابكم (مر ٤ : ٣٩). وعندما أشبع الخمسة ألاف بالخمسة خبزات والسمكتين (مر ٦ : ٣٥ – ٤٣). وعندما كان يغفر الخطايا كإله (لو ٧ : ٤٨) وعندما كان يتكلم بسلطان وليس كالكتبة والفريسيين.

٣- أعطانا أن نشاركه في مجده:

"وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط ١ : ٣ - ٤).

+ **أعطانا جسده ودمه:** ***"من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير... كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي"***. (يو ٦ : ٥٤ - ٥٧).

+ **أعطانا كل ماله:** أعطانا روحه القدوس ***"فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الأب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه"*** (لو ١١ : ١٣). ***"وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً أخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا***

يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو ١٤ : ١٦، ١٧).

"الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضا معه كل شيء" (رو ٨ : ٣٢).

+ أعطانا أن نكون أعضاء في جسده: *"ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح"* (١كو ٦ : ١٥). لذلك مع المسيح قد اختبرنا الموت عن العالم *"مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ"* (غل ٢ : ٢٠). *"لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبها بموته"* (في ٣) *"أقامنا معه في السماويات... في المسيح يسوع"* (اف ٢ : ٦). *"فدفنا معه بالمعمودية للموت.. لأنه إن كنا صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته... فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضا معه"* (رو ٦ : ٣ - ٨) فواضح اننا أخذنا قوة الموت عن الخطية من موت الرب يسوع عنا، وأخذنا قوة القيامة من قيامة الرب عنا.

"هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس وجعلنا واحدا معه من قبل صلاحه هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له، فلنسبحه ونمجده ونزيده علوا" (ثاؤطوكية الجمعة).

كيف تم الاتحاد:

إن اتحاد كلمة الله بجسدنا تم بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، كاتحاد النار بالحديد عند تسخينه. **فالحديد المحمي يحتفظ بخواص النار وخواص الحديد.**

العذراء عجينة وليست إناء:

+ تأملوا يا أحبائي الفرق بين تعبير الآباء والتعبير الدخيل إلينا من الغرب. الغرب ظنها اناء فأفسدوا كل بركات التجسد وبهذا يكون الإنسان بعيداً عن الإله المتجسد. لكن فكر أباءنا ركز على أن العذراء قدمت عجينة من لحمها ودمها للاتحاد باللاهوت وبهذا نحس بعمق ولذة وروحانية تجسد المسيح الذي أخذ جسدنا وصار واحداً منا.

+ وإذ أعتقد أصحاب فكرة أن العذراء ليست إلا إناء، أنهم يقللون من كرامتها فالحقيقة أنهم خسروا أعظم بركة من

التجسد الإلهي وهي أن الله دخل نسبنا وصار واحداً منا ***"فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو ايضًا كذلك فيهما"*** (عب ٢ : ١٤). ***"لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه"*** (أف ٥ : ٣٠).

+ **والدة الإله** أثبتت عقيدة التجسد والاتحاد بجنسنا.

+ **باب السماء** لأنها كانت أول إنسانة تلتحم بطبيعة الله السمائية ومن بعدها صار لنا هذه الإمكانية فهي صارت لنا الباب الذي دخلنا به لأعماق فكرة التجسد الإلهي من جنسنا.

"أي عقل أو أي قول أو أي سمع يقدر أن يدرك اللجة التي لا توصف التي لمحبتك للبشر يا الله الواحد الوحيد الكلمة المولود قبل كل الدهور باللاهوت بغير جسد من الأب وحده. هو ذاته أيضا ولد جسدياً بغير تغيير ولا استحالة من أمه وحدها".

"يا لعمق غنى وحكمة الله لأن البطن الواقع تحت الحكم ولد البنين بالوجع صار ينبوعاً لعدم الموت، ولدت

عمانوئيل بغير زرع بشر، ونقض فساد جنسنا". (ثاؤطوكية الخميس).

بركات التجسد من العذراء

أولا: **رفعت العذراء كرامة جنسنا**:

كانت إنسانة مثلنا، صارت أم الله، صارت ملكة عن يمين الملك، صارت أعلى من الشاروبيم وارتفعت فوق السيرافيم، صارت سماء ثانية صارت كرسي الأب، صارت أم النور.

بطن العذراء مريم

هي المعمل التي تم فيه التجسد الإلهي

المعمل الإلهي:

بهذا التعبير اللاهوتي العميق جداً تعرض الآباء القديسون لموضوع التجسد الإلهي. **فبطن العذراء هي المعمل** الذي تم فيه الاتحاد العجيب بين اللاهوت الذي لا يدنى منه وبين البشرية الضعيفة، وفي هذا تقول الكنيسة:

"السلام لمعمل الاتحاد غير المفترق الذي للطبائع التي أتت معاً إلى موضع واحد بغير اختلاط" (ثاؤطوكية الأربعاء).

"لأن غير المتجسد تجسد والكلمة تجسم. وغير المبتدئ ابتدأ وغير الزمني صار زمنيًا. غير المدرك لمسوه والغير المرئي رأوه ابن الله الحي صار بشرياً بالحقيقة".

"الله المستريح في قديسيه تجسد من العذراء لأجل خلاصنا".

"الأب أطلع من السماء فلم يجد من يشبهك أرسل وحيده أتى وتجسد منك" (ثاؤطوكية الأربعاء).

عجينة البشرية:

عندما أراد الله الاتحاد بالبشرية أخذ جسداً من العذراء مريم، لقد عّبر الآباء القديسون تعبيرا دقيقا عن هذا الاتحاد، اعتبروا أن البشرية كلها - نسل أدم وحواء طبيعة واحدة **عجينة واحدة** ثم أختار الله جزءاً من هذه العجينة ليتحد بها، وبهذا يكون قد أتحد بالجنس البشرى كله.

وهذه **العينة** من العجينة **أخذها من العذراء مريم**، وهذا الاتحاد تم في المعمل (أي بطن العذراء مريم).

"كل عجينة البشرية أعطتها (أي السيدة العذراء) بالكمال لله الخالق وكلمة الأب" (ثاؤطوكية الخميس).

وبهذا تكون السيدة العذراء مريم **هي التي قدمت عجينة البشرية للسيد المسيح**.

+ **صارت أماً للنور:** لأنه خرج منها شمس البر وصرنا بالتبعية نور العالم.

+ **صارت سماء ثانية**: لأنه سكن فيها الإله **فأعطتنا أن نعيش في السماء** "لأنك أنت الطريق الحقيقي الصاعد إلى السموات" (تذاكية الأحد).

+ **صارت مسكنا للقدوس،** نبعاً للطهارة، فصرنا هياكل للروح القدس.

ثانيا: العذراء مريم أدخلتنا في قرابة جسدية للرب يسوع

للعذراء مريم أخت، هذه الأخت صارت خالة السيد المسيح بالجسد، وللعذراء مريم أقارب وهؤلاء صاروا أقارب السيد المسيح بالجسد.

الإله غير المحدود دخل في نسب عائلة من جنسنا... عن طريق العذراء مريم قريبتنا كلنا بالجسد، وهكذا تكونت الكنيسة المقدسة.

هذه العائلة صفتها الأولى **القداسة** ***"لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم قائلا أخبر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة أسبحك"*** (عب ٢ : ١١ ، ١٢).

هذه العائلة رأسها الرب يسوع الأخ البكر "ليكون بكراً بين إخوة كثيرين" والعذراء مريم هي الأم، أما أطراف هذه العائلة فهم القديس يوحنا المعمدان والرسل والقديسين، ومعلمنا العظيم مارمرقس والمحامي القدير القديس أثناسيوس الرسولي وعمود أرثوذوكسيتنا كيرلس الكبير

عمود الدين، وأولادهم الشجعان مارجرجس ومارمينا، وأبو سيفين، والأمير تادرس، وعشاق بتولية العذراء القديسين أنطونيوس وبولا، والأنبا بيشوي، وأبو مقار.

وعندما قالوا للسيد المسيح ***"هوذا أمك وإخوتك خارجًا يطلبونك . فأجابهم قائلاً من أمي وإخوتي. ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال ها أمي وإخوتي. لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي"*** (مر ٣ : ٣١- ٣٥). وهكذا كشف الرب يسوع أن **القرابة الجسدية لا تكفي إن لم تكن مصحوبة بالطاعة لمشيئة الله**.

وحيث أن العذراء مريم هي أكثر انسانة تمم مشيئة الله، فهي لذلك تصبح أماً للعائلة المقدسة بالطاعة وبالجسد. وهكذا نرى يا أحبائنا أن انتسابنا للعائلة المقدسة قداستنا "ونؤمن بكنيسة مقدسة جامعة رسولية".

تدريب:

هل فكرت في عمل شجرة للعائلة، تدون فيها أسماء أقاربك القديسين وتتعرف على تاريخهم وتحتفل بأعياد

نياحتهم واستشهادهم، ابدأ من اليوم بكتابة هذا السفر الجميل وعرف أولادك به وقل لهم هذه هي عائلتنا الحقيقية التي بدأت بالتجسد من أمنا القديسة مريم العذراء.

التجسد موضوع تأمل للكنيسة عبر الأجيال

+ **العليقة:** التي رآها موسى النبي كانت رمزا للعذراء مريم.

النار تشعل فيها ولا تحترق، مثال أم النور مريم حاملة اللاهوت دون أن تحترق.

+ **العذراء رائحة البتولية:** رأى حزقيال النبي بتوليتها الدائمة في شكل باب دخل منه الرب الإله ولا يدخل منه انسان فيكون مغلقاً (حز ٤٤ : ١، ٢).

+ **تفنن موسى في التعبير عن طهارتها:** فشبهها **بتابوت العهد** المصنوع من الخشب الذي لا يسوس (رمز الطهارة). **وغطاء التابوت** مصفحاً بالذهب (والذهب رمز الطهارة في العذراء). العذراء الطاهرة هي قدس الأقداس الساكن فيها القدوس.

+ **أما الحبل بلا زرع بشر:** فرأه موسى في **عصا هرون** التي أزهرت بدون سقي.

+ **أما حمل العذراء للرب:** فرأه موسى في **شورية هارون الذهبية** الحاملة جمر النار (جمر اللاهوت).

+ أما رائحة طهر العذراء: فرأه موسى في **زهرة البخور** ذو الرائحة الجميلة الخارجة من شورية هرون.

+ **أما حملها بكلمة الحياة:** فرأه موسى في **قسط المن** الحامل للمن رمزاً للرب يسوع المسيح المن الحقيقي الذي كل من يأكل منه يحيا حياة أبدية.

+ **أما الكلمة المتجسدة:** فرأها موسى في كلمة الله المكتوبة بأصبع الله على **اللوح المقدس** وفي هذا قالت الكنيسة "الألواح هي حجر العذراء المكتوب عليه صورة مخلصنا" (الأبصلمودية الكيهكية ص ٧٩٥).

+ قال عنها **سليمان** أنها **أخته وصديقته**.

+ قال عنها **داود** أنها **الملكة المشتملة بالذهب**.

+ قال عنها داود أنها ***"الأم صهيون تقول إن إنساناً وإنساناً حل فيها وهو العلى الذي أسسها"*** .

+قال عنها داود إنها حمامة (مز ٦٨ : ١٣) وسمتها الكنيسة **الحمامة الحسنة**.

ابن اللّه – ابن الإنسان

ابن اللّه:

كلمة الله الذي ظهر في الجسد هو **ابن الله بالطبيعة** "ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور. نور من نور. اله حق من اله حق. مولود غير مخلوق. مساو للأب في الجوهر" (قانون الإيمان).

فولادة الكلمة كولادة النور من النور. فهو مساو للأب في الجوهر والطبيعة، مولود ولكن غير مخلوق. لأن الخلقة لها بداية. وسمي ابن الله كقولنا مع بعض الفارق فلان تكلم ببنت شفتيه، فالله لم يلد ولم يولد ولادة تزاوجية ولكنها ولادة ذاتية، هي ولادة الكلمة من الذات الإلهية، كلمة الله الذي به خلق كل الأشياء.

لأنه **حاشا لله أن يكون غير ناطق لحظة واحدة** أو طرفة عين ***"في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله، كل شيء به كان وبغيرة لم يكن شيء مما كان"***.

ابن الإنسان:

الكلمة المولود من الأب قبل كل الدهور صار جسداً من أجلنا. وهذا الجسد ولد مثلنا تماماً (بدون رجل وبدون خطية).

يقول القديس أثناسيوس الرسولي في كتاب تجسد الكلمة، أخذ جسداً مولوداً من امرأة و لذلك كان طبيعيًا أن يأخذ جسدا قابلاً للموت، لذلك مات المسيح. هذا الجسد بفضل اتحاده بالكلمة لم يعد خاضعًا للفساد بمقتضى طبيعته، وهكذا أتم عملين عجيبين في وقت واحد:

١- **اتمام موت الجميع في جسد المسيح** ***"إنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذا ماتوا"*** (٢كو ٥ : ١٤).

٢- **للقضاء على الموت والفساد بفضل اتحاد كلمة الله بالجسد** ، لأن الكلمة غير قابل للفساد فوهب الجسد عدم فساد (لذلك قام من الأموات).

وهكذا **أخذ الكلمة جسدنا ليفدينا** ويحمل الموت عنا ويكسر شوكته **ويصالحنا مع الأب بدمه**، ويشاركه في كل شيء ما خلا الخطية فيصير أخاً لنا ويدعونا للتبني فنقول ***"أبانا الذي في السموات"*** لذلك بالضرورة كان ينبغي أن يكون ابن الله ابناً للإنسان. لذلك ***"لأنه قد دخل إلى العالم مضلون لا يعترفون بيسوع المسيح أتياً في الجسد هذا هو المضل والضد للمسيح"*** (٢يو ٧).

"إن كلمة الله لم يكن محصوراً في جسد ولكنه بالحري يستخدم الجسد". أثناسيوس الرسولي.